إستهلالات مطالع أدعية الصحيفة السجادية
للإمام زين العابدين عليه السلام
دراسة تحليلية

Manipulation of Al-Sajadeia Script Supplication Fronts for Imam Zein Al-`Abadeen
Peace be upon him
Textual Fronts

م.د. حيدر محمود شاكر الجديع

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

Lecturer .Dr. Haider M. Sh. Al-Jade`a

Department of Arabic

College of Education for Human Sciences

University of Basrah

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin passed research

مُلخَّص البحث

إنّ لكلّ نصٍّ بناءَه الخاصّ الذي ينماز بهِ عن سائر النّصوص الإبداعية المُنتجة وضعيّاً أو إلهياً، من حيث بناء موضوعه وعتباته وتقسيماته وفقره، ومن حيث مرجعياته الثقافية التي يحملها، ومن حيث لغته ومستوياتها وتركيبه وأساليبه المتلونة مع اندماج مناسبة حال موضوعة حدثه.

ويقوى نصّ المُعبِّر المُنشئ كلّما ازداد وعيهُ في معرفة مستوى المَخاطَب، وكيف به وهو يخاطب ربّ الأرباب، الله جل جلاله؟ خالق كلّ شيء، وبديع السموات والأرض، لَيْسَكَمِثْلِهِ شَيْءٌ! وإذا كان المُخاطَب هو الله فكيف يبدأ المُتكلّم – المُنشئ الخِطابَ معهُ ؟!. من هنا تتجلّى أهمية موضوعة عتبة (اسْتِهْلَالِ مَطَالِعِ أَدْعِيَةِ الصَّحِيْفَةِ السَّجَّادِيَّةِ) التي تعالجها الدراسة المعتمدة منهج التحليل في كشف أسرار بِنية الاستهلال في الأدعية السجّادية، وما تحويه من عناصر نصيّة تؤسّس علاقات أواصر الخطاب، واندماجه وانسجامه مع الذات الإلهية المقدّسة.

ABSTRACT

For each text there is a particularity different from other man-made or divine creative texts due to their theme, fronts, parts, items, cultural background, language structure and levels, various techniques and rapport with time.

The text grows momentum as the creator perceives the niche of the addressee; how would it be, the addressee is the Lords of lords, Allah (Most Glorified)? The creator of everything; the creator of Skies and earth, unparalleled; if the addressee were Allah, how would the speaker / interlocutor start talking?

Thereupon the importance of the current paper, Manipulation of Al-Sajadeia Script Supplication Fronts for Imam Zein Al-`Abadeen (Peace be upon him), comes into light and depends upon explication to expose the secrets of fronts structure in Al-Sajad Supplications as for having textual ingredients erecting the rubrics of the speech bonds and its homogeneity and submission to the sacred divine Entity.

... المقدّمة ...

يكتنز الاستهلال في جذره المعجميّ، دلالات عدة منها «.. الهَلَلُ: أوّل المطر. يقال: استهلَّت السماء وذلك أوّل مطرها. ويقال: هو صوت وقعه. واستهلّ الصبيُّ بالبُكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة. وكلّ شيء ارتفع صوته فقد استهلَّ.. وأهلَّ المُحرِم بالحجّ يُهلُّ إهلالاً إذا لبَّى ورفع صوته. والمُهَلُّ، بضم الميم: موضع الإهْلال، وهو الميقات الذي يُحرمون منه، ويقع الزمان والمصدر.. قال النابغة يذكر دُرّة أخرجها غوّاصها من البحر:

أو دُرّة صَدَفيّة غوّاصُها ... بِهَجٌ متى يَرها يُهِلُّ ويَسْجُد

يعني بإهلالِه رفعه صوتَه بالدعاء والحمد لله إذا رآها؛.. وتهلَّل وجهه فرحاً: أشرق واستهلَّ. وفي حديث [السيّدة] فاطمة ﷺ: فلما رآها استبشر وتهلَّل وجهُه أي استنار وظهرت عليه أَمارات السرور.. والهِلَّة: من الفرح والاستهلال...»[1].

وعلى الاستناد إلى هذه الدلالات عُيّنت وظيفة الاستهلال المهمّة في بُعْده الفنّي للنّص الأدبيّ، بأنّه: الأساس في استقطاب ذهن المتلقّي –القارئ أو السامع أو المشاهد– وشدّ انتباهه إلى الموضوع عَبْر الاشارة إليه بتكثيف موجّز عمّا يضمّه النّص، فمن دون تحقق انتباهه به تضيع الغاية وينتهي المطلب[2]. إذْ يأخذ التصدير به منزلة «الإشارة والإيذان بالغرض المقصود.. والفائدة منه إعداد [المتلقين] وتهيئتهم إلى التوجه نحو الغرض»[3]، ومرتكز وظيفة الاستهلال في النّص الأدبي كونه قطب انفلاق الأفكار من حيث اللحظة التي يبدأ بها المنشئ بنسج نصّه وصياغته، فيحمّله

ضمناً تأريخياً وتقليداً ما، فلا يخرج به عن أعراف بناء ولا عن طريقة قول، ويقترب في حالات ما، إلى المبدأ الشفاهي في القول والعمل[٤]، ولقد أكّد القدماء العرب من البلاغيين والنقاد باهتمامهم بالابتداءات والافتتاحات، إذْ كان أكثر اشتغالهم على قوة التأثير النفسيّ التي تستهلّ بها مبادئ الطوالع الجيدة، لأن تحسينها من دلائل البيان والإعجاز عندهم، إذ إنّ النصّ نسيج يرتبط بالبداية الاستهلالية بخيوط ممتدة مشدود إليها[٥]، وكذلك فإنّ حسن الافتتاح يأتي من «ثلاثة جوانب: جمال المعنى؛ جمال الألفاظ؛ مع مراعاة مقتضى حال [المتلقي = المخاطَب]»[٦].

ويعدّ نصّ الإمام السجّاد عليه السلام من نصوص عصر الاستشهاد النَّحوي، والمتبحّر في محيطات الصحيفة السجّادية بين الخفاء والتجلي يرصد جمال بناء نصّها وسبكه، وقوة معناه، ونغم إيقاع فاصلاته، وتناسب فقرات موضوعاته، وإنّ أوّل ما يقع عليه نظر المتلقّي في أدعيتها، هو مطلع الدعاء -المقطع الأوّل وما يُفتتح بمفردته الندائية الأُولى- الذي يستهل الإمام عليه السلام به خطابه مع الله سبحانه وتعالى، ومن ثَمَّ يلمح أثر موضوعة دعائه فيه، وبعده تطربه موسيقى فاصلاته وجرس إيقاعها، فهو يمثّل مفتاح خطابِه وسؤلِه وطلبِه ونداءِه ومناجاتِه معه، وحوائجِه منه سبحانه وتعالى.

وعلى أساس ما تقدّم نلحظ الإمام عليّ السجّاد عليه السلام في أدعية صحيفته المباركة، يعتمد في استهلال مطالع بعضها أسلوب (الحمد لله)، وفي بعضها الآخر التعبير الدُّعائيّ (اللَّهمَّ)، وتارة يجمع بينها وبين أداة نداء البعيد (اللَّهمَّ يا مَن)، و(اللَّهمَّ يا كافي)، وفي أُخَر تأتي على أصلها (يا اللهُ)، ومنفردة (يا مَن)، و(يا فارج)، وفي أدعيةٍ أُخَر أدوات التنزيه والألوهيّة والربوبيّة (سبحانَهُ)، و(إلَهي)، و(رَبِّ) وهكذا في سائر الاستهلال[٧]، وما يصاحبه من أسلوب مطلع كلّ دعاء، إذْ لم يكن اعتماد

الإمام عليه السلام هذا التعدد في الاستهلال جزافاً ولا اعتباطاً من دون تخطيط علم، ومعرفة، ووعي، وقصد، وهذا ما تراه الدارسة في معالجتها!.

الدراسة التحليليّة ومعالجتها

مفردة استهلال المَطْلع وموضوعة الدُّعاء

إنّ المنشئ الأديب المبدع ينشئ نصّه بوعي وعلم ومعرفة بجوانبه كلّها، ومقارباته جلّها، من حيث المناسبةُ والموضوعُ وارتباطُهما بالمخاطَب المتلقّي المعني بالنّص الموجّه إليه، هذه العملية وجدليتها بين المبدع والمتلقي (الإنسان) بأصنافه وطبقاته ومستوياته كلّها، أما إذا كان المبدع (الإمام المعصوم)، الذي عرف في عصره بـ(زين العابدين)، و(سيد الساجدين)، و(إمام الزاهدين)، و(عالم أهل زمانه)[٨]، والمُرسَل المُوجَّه إليه نداء الدعاء وطلبه هو (الله) تعالى فمعادلة بناء النّص وحساباتها الفكرية والروحية والنفسية، تكون في ميزان تكويني نصيّ آخر.

من هنا فالملاحظ أنّ استهلال مقطع المطلع ومفردته الافتتاحية (الكلمة المفتاح) لها علاقة بنفسية الإمام السجّاد عليه السلام حال دعائه الله تعالى، متزامنة مع الموضوعة التي حملت تكثيف المناسبة كلّها.

لهذا نجد الإمام عليه السلام في موضوعات الأدعية المتعلقة بـ (التَّحميد لله سبحانه وتعالى)، و(الصَّلاة على مُحمَّدٍ وآلِه)، و(الصَّباح والمساء)، و(الرِّضا بالقضاء)، و(يوم عرفة)، يستهلَّها بأسلوب (الحَمْد لله)[٩]، وهو أسلوبٌ لا يخرج عن مرجعيته القرآنية في استهلال السُّور وفواتحها بـ (الْحَمْد لِلَّهِ)[١٠]، والأدعية المحمّديّة العَلَويّة الحُسَيْنيّة، وإنّما كان الإمام السجاد «يبدأ بالتحميد لله سبحانه وتعالى والثناء عليه اقتداء بكتاب الله

تعالى، وعملاً بما اشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**كلّ أمر ذي بالٍ لم يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع**))[11]، أي مقطوع البركة.. وروي عن أبي الله عليه السلام أنّه قال: ((**كلّ دعاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر، إنّما التحميد ثمّ الدعاء**))[12]»[13]. وهو ما يلتفت إليه المتلقي المطّلع المتفحّص.

ومن نماذج التَّحليل، استهلال مطلع دعائه (التَّحْميد لله سبحانه وتعالى): ((**الحَمْدُ لله الأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُوْنُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِيْنَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الوَاصِفِيْنَ**))[14].

لقد استهل الإمام السجاد عليه السلام صحيفته كلّها بمفردة (الحَمْدُ لله) فضلاً عن استهلال دعائه الأوّل الذي جاءت موضوعته خاصّةً بـ (التَّحميد لله سبحانه وتعالى) في الوقت نفسه، إذْ تطابقت موضوعة دعائه مع مفردة الاستهلال تطابقاً كاملاً، وتناصّاً وتداخلاً نصّيًّا قرآنيّاً جليّاً بديعاً في فاتحة صحيفته المباركة زيادة على الأدعية التي ذكرت آنفاً، وهنا أراد الإمام عليه السلام بـ (الحَمْد لله سبحانه وتعالى) أن يبيّن الحمد المطلق لله وحده ولا يشترك فيه معه شيء أبداً! وهذا ما جعل (الحَمْد لله) مختصّاً به عليه السلام، فأورد الإمام «الحمد معرفة في جملة اسمية ليدلّ على ثبات الحمد لهُ»[15]، لأنّ جنس «الحَمْد وكلّ حَمْدٍ وجميع المحامد لله سبحانه بالحقيقة، إذْ ما من خير بالذات أو خير بالعرض في نظام الوجود طولاً أو عرضاً إلّا وهو مستند إليه سبحانه بوسط أو لا بوسط. فقد جعل اختصاص الجنس دليلاً على اختصاص جميع الأفراد، سلوكاً لطريقة البرهان، وذلك بابٌ من فنّ البلاغة، إذ معناه: ذات كلّ متقرّر ووجود كلّ موجود لله، كما قال جلّ سلطانه [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ][16]، إذْ حقيقة الحمد هو الوصف بالجميل، وكلّ تقرّر ووجود ينطق بلسان طباع الإمكان أن مفيضه ومبدعه هو الحيّ القيّوم الحقّ المتقرّر بنفسه الموجود بذاته. فتكون هويّة كلّ ذي هويّة حمداً

له سبحانه»[١٧]. وما يعضّد هذه الرؤية هو أنّ «اللام في (لله) إمّا للجنس، وإمّا للاستغراق، وهما عند التحقيق متلازمان في إفادة الانحصار، ويجوز كونها للعهد، والمراد به الحمد الذي حمد به نفسه، لأنّ الحمد هو إظهار صفات الكمال لأحد، وقد بسط بساط الوجود على ممكنات لا تعد ولا تحصى، ووضع عليه موائد كرمه التي لا تتناهى، فقد كشف عن صفات كماله بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية، فإنّ كلّ ذرة من ذرات الوجود تدل عليه، ولا يتصور مثل هذه الدلالات في الألفاظ والعبارات»[١٨].

لذلك دعم الإمام عليه السلام مفردة استهلاله بقوله: ((**الأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ**))، و ((**وَالآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُوْنُ بَعْدَهُ**))، ونتيجة المطلب الدعائي من مستوى أدب الإمام السجّاد عليه السلام لله سبحانه وتعالى من حيث مفردة الاستهلال مع الموضوعة تكون في تعبيره؛ ((**قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِيْنَ**))، و((**عَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الوَاصِفِيْنَ**))، وهذا ما يثبت عمق اندماجه وعرفانه بالله سبحانه وتعالى في دعائه وسائر أدعية صحيفته. ومنها أُنموذج آخر دعاؤه عند الصَّباح والمَساء: ((**الحَمْدُ للهِالَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُوْلِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُوْلِجُ صَاحِبَهُ فِيْهِ بِتَقْدِيْرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ، فِيْمَا يَغْذُوْهُمْ بِهِ، وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ**))[١٩].

وهنا في موضوعة دعائه عند الصّباح والمساء، يستهلّ مطلعه ويفتتحه بمفردة (الحَمْدُ لله) أيضاً، لأنّ مقتضيات دوام الحياة على الإنسانية جمعاء، تكمن في استمرار ظاهرة الصَّباح والمساء فبديمومتهما استمرار الوجود كلّه بتقديرٍ منه سبحانه وتعالى، وهي من دلائل وجوده العظيم، ومن النِّعَم المُختصّة بالله سبحانه وتعالى فهو وحده ذو السلطان البارئ المصوّر المحيط بكلّ شيء، القادر على كلّ شيء، فلا يناسب هذا المقام إلّا الاستهلال

بمفردة (الحَمْدُ لَهُ) وحده لا شريك له فيه، الذي لا يستحقّه إلّا هو ﷻ. فجاءت أفعال جمل مقطع استهلاله وسببها؛ (خَلَقَ.. بِقُوَّتِه)، و(مَيَّز.. بِقُدْرَتِه)، و(جَعَلَ.. مَحْدُوداً وَأَمَداً مَمْدُوداً)، (يُوْلِجُ.. بِتَقْدِيْرِ مِنْهُ)، و(يَغْذُوْهُمْ.. بِه)، و(وَيُنْشِئُهُمْ.. عَلَيْه)، مؤكّدةً ما أراده الإمام السجّاد عليه السلام من مفردته الافتتاحية بـ (الحَمْدُ للهِ ﷻ)، لذلك نلحظ الإمام عليه السلام ساوى حتى بتوظيف عدد الأفعال الزمنية فانتقى ستةً وزّعها على كفّتين، فقصد بها التعاقب الزمني العادل المتساوي بين الصّباح والمساء، إذْ جاءت كفّة (الثلاثة) الأُوْلى بصيغة الماضوية: (خَلَقَ – مَيَّز – جَعَلَ)، وكفّة (الثلاثة) الثانية بصيغة المضارعية: (يُوْلِجُ – يَغْذُوْهُمْ – يُنْشِئُهُمْ)، وهذا التقابل الزّمني الذي حملته الكفّتان بين الماضوية والمضارعية يعطي دلالة الحصر الزمني المطلق غير المتناهي لإحاطة الله تعالى وقوّته وقدرته وجعله وربوبيته وإنشائه بكلّ شيء وعلى كلّ شيء، الذي جذّر سياق الموقف فيه.

أمّا موضوعات الأدعية المرتبطة بـ (الصلاة على حملة العرش) و(الصلاة على مُصدِّقِ الرُّسل) و(الاستعاذة) و(الاشتياق) و(اللجوء إلى الله تعالى) و(الاعتراف) و(طلب الحوائج) و(المرض) و(الاستقالة) و(دعائه على الشيطان) و(المحذورات) و(الاستسقاء) و(مكارم الأخلاق) و(إذا أحزنه أمرٌ) و(عند الشدة) و(العافية) و(دعائه لأبويه عليهما السلام) و(دعائه لِولْدِه عليهم السلام) و(جيرانه وأوليائه) و(دعائه لأهل الثغور) و(التَّفزُّع) و(إذا قُتِّر عليه الرّزق) و(المعونة على قضاء الدَّين) و(التوبة)، و(صلاة الليل) و(الاستخارة) و(إذا ابتلى أو رأى مبتلىً بفضيحةٍ أو بذنبٍ) و(سماع الرَّعد) و(الشُّكر) و(الاعتذار) و(طلب العفو) و(ذكر الموت) و(طلب الستر والوقاية) و(دعائه عند ختمه القرآن) و(وداع شهر رمضان) و(عيد الأضحى والجمعة) و(دعائه بالرَّهْبَة) فإنّ استهلال مطالعها جاء بمفردة نداء (اللَّهُمَّ)[٢٠]. وهذا الاستهلال مولود في رحم الاستهلال القرآنيّ عند قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ

تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢١]، وقوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٢٢]. إذْ إنّ استهلال هاتين الآيتين الكريمتين بمفردة (اللَّهُمَّ)، المركّز المكثّف بإحاطة الله وقدرته وملكوته وسلطانه بكلّ شيء وعلى كلّ شيء، ضمّ وحَوَى مجمل الموضوعات التي فصّلها الإمام السجّاد عليه السلام في عنوانات أدعيته لكونها نابعةً مشتقّةً في هذه الدائرة القرآنية دائرة الاعتراف المُطلق في رحاب الدعاء القرآنيّ التي قصدها باستهلاله المبارك، من نماذجها استهلال مطلع دعائه (في الاشتياق لطلب التوبة والمغفرة): ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصَيِّرْنَا إِلَى مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَأَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوهِكَ مِنَ الإِصْرَارِ، اللَّهُمَّ وَمَتَى وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِيْنٍ أَوْ دُنْيَا فَأَوْقِعِ النَّقْصَ بِأَسْرَعِهِمَا فَنَاءً، وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِي أَطْوَلِهِمَا بَقَاءً**))[٢٣].

إنّ الاشتياق حاجةٌ من حوائج الإنسان الغريزية الكثيرة المتشعبة والمتفرعة والمتعددة في الحياة التي أَلْهَمَهُ إيّاها الله تعالى، سواء الروحية والقلبية منها، ام ما تعلق بوشائج نفسية في اللحظة نفسها، وعليه فإنّ الإمام السجّاد جنّد مفردة (اللَّهُمَّ) استهلال موضوعته مفتاحاً لدخول رحاب الاشتياق في روض الحبّ الإلهيّ عَبْر أبوابه الواسعة الشاسعة التي جعلها نوراً للمُحبين، وأرسلها رحمةً للعالمين، هم أحباؤه ومحبوبوه (مُحَمَّدٌ وَآلُهُ)، لذلك نجده أتبع مفردة استهلاله بالصلاة عليهم (صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ)، لأنّهم أحبُّ خَلْقِه إليه، وهذا ما كان له الأثر البالغ في غلبة هذا الأسلوب في الصحيفة كلّها، لأنّه عالمٌ أنّ الدعاء لا يستجاب إلا بهم، والحوائج لا تقضى إلّا عَبْر أبوابهم، والعبد لا تقبل أعماله إلا بطاعتهم وذكرهم أمام محبوبهم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ وحاشا له ذلك، من هنا فإنَّ أصل (اللَّهُمَّ)؛ «يا الله حذف أداة النِّداء وأتى بالميم المشددة في الآخر عوضاً عنها تعظيماً لاسمه الشريف

أن يؤتى بصورة النِّداء، وتفخيماً للفظه وإشعاراً باشتداد المحبّة، فإنّ شدّة الحُبّ كشدّة الغضب تقتضي التشديد في اللفظ»[٢٤].

ونقل عن بعض النحويين قوله: «أصل اللَّهُمَّ: يا اللهُ المطلوب للمهمّ، فحذف حرف النِّداء لدلالة الطلب والإهتمام عليه مع قيامه مقامه، ثُمَّ اقتصر من لفظي الصِّفتين بأوّل الأوّل وآخر الثاني وأدغم أحدهما في الآخر»[٢٥].

والإمام عليه السلام بمفتاح استهلال اشتياقه هذا وظّف تقابلاً لطيفاً وضدّاً جميلاً، إذْ قابل بين (الصيرورة إلى محبوبه) تعالى، وبين (الإزالة عن مكروهه) سبحانه. وكذا قابل بين (وقوع النقص بالأسرع فناءً - الدِّين أو الدُّنيا)، وبين (جعل التوبة في الأطول بقاءً - الدِّين أو الدُّنيا) أيضاً، فجسّد هذا التقابل (مَحْبُوْبكَ - مَكْرُوْهكَ)، و(فَنَاء - بَقَاء)، تشكيلاً روحياً ونفسياً في رحاب روض الاشتياق إلى طلب التوبة والمغفرة عمّق أساس السياق العاطفيّ، معضّداً ومستنداً إلى الأفعال الأمرية التي استعملها الإمام السجّاد عليه السلام في مقام الدعاء؛ (صَيِّرْنَا - أَزِلْنَا - أَوْقِع - اجْعَلِ). إذ جاء الفعلان الأوّلان بصيغة الجمع تعظيماً لله في خطابه وطلباً للمغفرة في ساحة رحمته الواسعة باسم الجمع كلّه، لذلك أتى بالفعلين الآخرين بصيغة خطاب الإفراد لأنّ الاشتياق إلى طلب التوبة والمغفرة منه تعالى وحده هو أهلٌ لهما.

ومن نماذجها الأُخَر أيضاً؛ مطلع دعائه (إذا قُتِّرَ عليه الرِّزقُ): ((**اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوْءِ الظَّنِّ، وَفِي آجَالِنَا بِطُوْلِ الأَمَلِ، حَتَّى الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوْقِيْنَ، وَطَمَعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِيْنَ**))[٢٦]. وكذلك هنا استهلال الإمام السجّاد عليه السلام مطلع موضوعة دعائه (الرِّزقُ) بمفردة (اللَّهُمَّ)، المختصّة بتجاوبها وتناسبها مع طلب حوائج النِّعَم جميعها، وطلبات الجود والكرم كلّها من الله الكريم أكرم الأكرمين ذي الجود العظيم، الذي لا تنقص خزانه في ساحة جوده وكرمه،

ولا تفنى في أبواب كثرة سائليه! إذْ كشف الإمام عليه السلام عَبْر مفردة استهلاله تداعيي البلاء اللَّذَين يكونان سبباً لوقوع الاقتار، وهما: الأوّل؛ (سُوْءِ الظَّنِّ بأرزاق الله)، والثاني؛ (طُوْلِ الأَمَلِ بالآجال). ممّا يؤدي بنا إلى التماس أرزاق الله الجواد الكريم من غيره (مِنْ عِنْدِ المَرْزُوْقِيْنَ) الذي رزقهم هو سبحانه وتعالى، وإلى الطمع في (أَعْمَارِ المُعَمَّرِيْنَ)، وهو واهبها وممدّها ومعمّرها، وواجد الوجود وخالقه، وأزلي الخلود وجاعله. فلا ينسجم مع هذا المقام الاستهلاليّ إلّا مفردة الإستهلال (اللَّهُمَّ) التي تتناغم بمعناها ودلالتها مع موضوعة الدعاء، ولقد تقدّم التحليل في بيان خصائصها الافتتاحية فيما سبق آنفاً.

وأمّا موضوعات الأدعية الخاصّة بـ (دعائه لنفسه وخاصَّتِه) و(دعائه في المُهمَّات) و(دعائه بخواتيم الخير) و(دعائه في الظُّلَامَات) و(دعائه للعيدين والجمعة) و(دعائه في الإلحاح) و(دعائه في استكشاف الهموم)[٢٧] فقد ارتكز استهلال مطالعها على أسلوب الدعاء بمفردة ياء (يا) الندائية الدالة على أنواع المسافات كلّها قريبها، ووسطها، وبعيدها، فتارة تأتي على أصل بناء (يا اللهُ)، وأخرى تجيء منفردة بندائها مع المنادى المندوب بـ (يا مَنْ) و(يا فارج) ونحو هذا، ومنها أُنموذج استهلال مطلع دعائه (في استكشاف الهُمُوم): ((**يَا فَارِجَ الْهَمِّ، وَكَاشِفَ الغَمِّ، يَا رَحْمٰنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيْمَهُمَا، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْرُجْ هَمِّي وَاكْشِفْ غَمِّي**))[٢٨].

إنّ موضوعة الدعاء تنبيء بطلب دفع الهُموم وإبعادها من خلال استكشافها، وهو ما يجلي سرّ استهلال الإمام السجّاد عليه السلام فاتحة مطلع دعائه بمفردة أداة ياء (يَا) النِّداء الدّالة على خطاب البعيد في هذه الحال، وهذا المقام للداعي وهو الإمام عليه السلام لنكتتين مهمتين هما:

الأُولى: تعظيماً لله في موضع أدب خطابه ﷻ من حيث إبعاد وصول الهموم والغموم -لأنها من ملازمات المخلوقين- إلى رحاب الذات المقدّسة وتنزيهها.

والثانية: تكمن في تلاؤم توظيف ياء النداء (يَا) مع موضوعة دعائه في دفع تلك الهموم والغموم وإبعادها عنه.

زيادة على هاتين النكتتين فإنّ «الصورة الصوتية لهذه الأداة تتلاءم مع امتداد الصوت ولاسيما أنّ (الياء) وهو حرف [صوت] مدّ ثقيل، و(الألف) وهو حرف [صوت] مدّ خفيف، وبذا ينتقل ثقل المدّ إلى سعة مع استطالة المدّ الخفيف ليكون الصدى مضاعفاً لقيمة الصوت المنتج»[٢٩].

وفي ضوء هذا الارتباط والتلاؤم بين مفردة الاستهلال وموضوعة دعاء الإمام عليه السلام نلمحه ذاكراً مؤكّداً في بداية استهلال مطلع دعائه (يَا فَارِجَ الْهَمِّ) و(كَاشِفَ الغَمِّ)، إذْ أضاف المنادى الذي هو في صيغة اسم الفاعل (فارج) إلى الهمّ، و(كاشف) إلى الغمّ ليعطي دلالة الثبات واليقين في فرج الهمّ وكشف الغمّ منه تعالى ﷻ، ولذلك نلمح في خاتمة نهاية مقطعه الاستهلالي، جاء بفعلي الأمر المماثلين لمادة المنادى (الفارج) و(الكاشف) (افْرُجْ هَمِّي) و(اكْشِفْ غَمِّي) ومِنْ ثَمَّ نسب الهمّ والغمّ إلى نفسه من خلال ياء (المتكلّم) التي تعطي دلالة يقين تحقّق الفرج والكشف، وهي في الوقت نفسه تنسجم وتتداخل مع مفردة الاستهلال ياء (النّداء) من حيث البدء بها، والانتهاء إليها.

في حين نرصد موضوعة دعائه (إذا نَظَرَ إلى الهِلال) الذي ينماز عن سائر أدعية الصحيفة[٣٠]، بمفردة استهلاله التنزيه المطلق للهِ (سُبْحانَهُ) استلهمه الإمام عليه السلام من التوظيف القرآنيّ لتسبيح الله الذي افتتحت سبع سور به، في تنزيه الله من الصاحبة والولد وبراءة لله ﷻ من كل سوء[٣١]؛ بعد إلتفاته من خطاب القمر: ((.. **سُبْحانَهُ**

مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ!، وأَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ!، جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ حَادِثٍ لِأَمْرٍ حَادِثٍ))[٣٢].

ومعنى (سُبحان)؛ «التنزيه عن النقائص، فسبحان الله معناه تنزيه الله، كأنّه قيل: أُسبّحه سبحاناً، وأُبرؤه عمّا لا يليق بعزّ جلالهِ براءةً»[٣٣]. وعلى أساس هذا صار التسبيح بـ (سبحان الله) «علماً في الدِّين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه»[٣٤]. وعليه فلا يجوز «أن يستعمل [سبحان] في غيره تعالى، وإن كان منزّهاً عن النقائص. أنّ التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع: [أ] تنزيه الذات عن نقص الإمكان الذي هو منبع السوء. [ب] وتنزيه الصفات عن وصمة الحدوث، بل عن كونها مغايرة للذات المقدّسة، وزائدة عليها. [جـ] وتنزيه الأفعال عن القبح والعبث، وعن كونها جالبة إليه تعالى نفعاً أو دافعة عنه سبحانه ضرراً كأفعال العباد»[٣٥].

ولم تكن مفردة استهلال الإمام عليه السلام بالتسبيح محض مصادفة، ولا اعتباطاً وجزافاً، وإنّما كان عارفاً بخصوصيته، عالماً أسراره التي منها؛ «جذب الأسماع، لأنّ فيه شاعرية تثير الخيال ليُدرك من خلاله أنّ كلّ ما في السموات وما في الأرض ينزه الله سبحانه وتعالى، فالتسبيح بالمصدر [سُبحان] يثبت له أصل التسبيح.. [و] هذا المطلع الموحي المختار. يتناول القلوب، فيهزها هزاً، ويأخذها أخذاً، وهو يجول بها في الوجود كله فلا تجد إلّا الله، ولا ترى إلّا الله، ولا تحسّ بغير الله، ولا تعلم لها مهرباً من قدرته ولا مخبأ من علمه، ولا مرجعاً إلّا إليه، ولا متوجهاً إلّا لوجههِ الكريم، فأيّ مقدّمة يمكنها أن تجذب السامع [أو المطلوب] أكثر من هذا الجذب»[٣٦].

فتوظيف الإمام لمفردة استهلال دعائه (سُبحان) لخصوصيتها المتجاوبة مع موضوعته، إذا نظر إلى الهلال لأنّهُ من دلائل تسبيح الله و تنزيهه وقدرته وعظمته

ومِنَنِهِ على العباد كلّهم، والخلائق جميعهم. من هنا جاءت جمل مطلع الاستهلال تحمل هذه الرؤية في التنزيه؛ (مَا دَبَّر فِي أَمْرِكَ!)، (أَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ)، (جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ حَادِثٍ لِأَمْرٍ حَادِثٍ) ويا لجمال هذا التشبيه البديع الذي أطلقه الإمام عليه السلام على القمر عند ولادته هلالاً.

وكذا الحال في موضوعة دعائه (في التّضرع والاستكانة)، وموضوعة دعائه (في دفع كيد الأعداء)، فلقد استهلَّهما بمفردة الألوهية والوحدانية (إلَهِي)؛ إذْ يدعو الله قائلاً: ((**إِلَهِي أَحْمَدُكَ وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ، عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ، وَسُبُوغِ نَعْمَائِكَ عَلَيَّ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ عِنْدِي، وَعَلَى مَا فَضَّلْتَنِي بِهِ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَاَسْبَغْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ، فَقَدْ اصْطَنَعْتَ عِنْدِي مَا يَعْجِزُ عَنْهُ شُكْرِي**))[٣٧]. فاستهلال فاتحة مطلع دعائه بمفردة (إلَهِي) لها قرارها وشأنها ووقعها في مقام التضرّع والاستكانة لله وحده، وهذا ما أثبتته صيغة خطاب الله بالإفراد (إلَهِي) بضمير ياء (المتكلّم)، وليس بصيغة الجمع (إلَهَنَا)، لأنّ الإفراد يؤكّد في الوقت نفسه، إخلاص التوجّه والابتهال المطلق منقطع النظير من الإمام السجّاد عليه السلام في ندبة ما يريده في رحاب الذات المقدّسة، لذلك لم يصرّح بأداة النِّداء (يَا) فينادي داعياً (يَا إلَهِي)، لأنّهُ قصد بحذفها «استشعاراً لكمال قربه تعالى، وإيثار صيغة الإستقبال [أَحْمَدُكَ] للدلالة على التَّجدّد والاستمرار، ولم يقل (حمدتك) لئلا يتوهم الفراغ منه، ولم يؤكّد الجملة اشعاراً بتقصير حمده»[٣٨].

من هنا انفلق سياق جمل مطلع استهلاله مثبتاً هذه الحقيقة في تضرّع الإمام عليه السلام واستكانته وابتهاله، (أَحْمَدُكَ وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ)، (حُسْنِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ)، (وَسُبُوغِ نَعْمَائِكَ عَلَيَّ)، (جَزِيلِ عَطَائِكَ عِنْدِي)، (مَا فَضَّلْتَنِي بِهِ مِنْ رَحْمَتِكَ)، (اَسْبَغْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ)، (اصْطَنَعْتَ عِنْدِي مَا يَعْجِزُ عَنْهُ شُكْرِي). وذلك لو أنعمنا النظر فنلحظ

الكلمة الأخيرة التي تشكّل نسق ما تطابقت به مفردة الاستهلال مع موضوعة دعاء الإمام؛ (أَنْتَ.. أَهْلٌ - إِلَيَّ - عَلَيَّ - عِنْدِي-رَحْمَتِكَ - نِعْمَتِكَ - شُكْرِي).

وكذا مطلع دعائه المبارك (في دفع كيد الأعداء): ((**إِلَهِي هَدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَوَعَظْتَ فَقَسَوْتُ، وَأَبْلَيْتَ الجَمِيْلَ فَعَصَيْتُ، ثُمَّ عَرَفْتُ مَا أَصْدَرْتَ إِذْ عَرَّفْتَنِيْهِ، فَاسْتَغْفَرْتُ فَأَقَلْتَ، فَعُدْتُ فَسَتَرْتَ، فَلَكَ إِلَهِي الْحَمْدُ**))[٣٩]. والحال نفسها في هذا الأُنموذج، إذْ إنّ مفردة استهلال هذا المطلع بـ (إِلَهِي) الدالة على أصل الألوهية، في موضوعة دعائه لله في دفع كيد الأعداء، وهنا يريد الإمام عليه السلام أن يجسّد مبدأ التسليم لله وحده لا شريك له، في دفع كيد أعدائه من الجِنَّة والنّاس، فيدعو منادياً: (إِلَهِي) ليس لي ملجأٌ إلّا أنت، وليس لي معين وناصرٌ سواك، ولا يدفع كيد أعدائي غيرك، (إِلَهِي) فأنت من تستحقّ الألوهية والحمد فرداً صمداً سبحانك، فجاءت مفردات جمل مطلع استهلاله محمّلة بهذا التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى، (هَدَيْتَنِي-لَهَوْتُ / وَعَظْتَ-قَسَوْتُ / أَبْلَيْتَ-عَصَيْتُ / عَرَفْتُ - مَا أَصْدَرْتَ / اسْتَغْفَرْتُ-أَقَلْتَ / عُدْتُ - سَتَرْتَ)، وعلى أساس هذه الرؤية العرفانية من الإمام عليه السلام التي تطبّق المنهج القرآنيّ المحمّديّ في أدب خطاب الله ودعائه بين يديه، [من عرف نفسه، فقد عرف ربّهُ]، ونسيج بِنية المطلع الاستهلالي كلّه، بدءاً من مفردته الافتتاحية المنصهرة في موضوعة دعائه، فإنّ هذه الرؤية كانت حاضرة بنسق الإفراد المتتابع المترادف وسياقه في مفرداته كلّها.

أمّا موضوعة دعائه المتعلّقة بـ (التَّذلُّل لله سبحانه وتعالى)، فقد انماز بمفردة استهلال مطلعه، المنغمسة عمقاً، المنعقدة قلباً، الذائبة عرفاناً بمعناها ودلالتها في الربوبية لله سبحانه وتعالى عند الإمام السجّاد عليه السلام (رَبِّ)، ولهذا يدعو عليه السلام قائلاً: ((**رَبِّ أَفْحَمَتْنِي**

ذُنُوبِي، وَانْقَطَعَتْ مَقَالَتِي، فَلَا حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الأَسِيرُ بِبَلِيَّتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيْئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطِعُ بِي))[٤٠].

لقد ارتشف الإمام السجّاد في توظيف مفردة استهلاله (رَبِّ) مخصّصاً إيَّاها بموضوعة التَّذلُّل لله ﷻ، من رحيق جملة الدُّعاء القرآنيّ[٤١]، إذ حُذفت أداة النداء (يَا) من جملة (رَبِّ) كما فقدت ياء المتكلّم (ي)، وعوضت عنها بكسرة في الزمن نفسه أيضاً، حتى أنّ باء (ب - رَبِّ) تكفّلت بأداء دور ياء المتكلّم (ي)، وهذا فيه دلالة قرب الله من عبده، وكذا تمايز القرب الإلهيّ من النّبي ﷺ أو من وصيه المعصوم عليه السلام أو من عباده المُخْلَصين، وليكون رَبَّاً للنّاس جميعاً، لأنّ القرب من الله تجلّى واسعاً أقرب من حبل الوريد، بعد الابتلاءات والامتحانات التي مرّ بها المتلقي من الله، والعطاء الذي جاد الله عليه وأكرمه به، لأنّ التعويض بالكسرة في (رَبِّ) عن الياء (ي) محقّق معنى الرَّبّ الحقّ هنا، هو ليس الأرباب المتفرقين على مستوى فكر الإنسان الجاهل، بل هو رَبٌّ واحدٌ أَحدٌ لا غيره[٤٢]، «كونه منبع الكمالات الفعلية، ومنطلق تنزّلها»[٤٣]، لذلك فإن مفردة استهلال مطلع دعاء الإمام عليه السلام بـ (رَبِّ) هو تعرّضه؛ «لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميره لتحريك سلسلة الإجابة والمبالغة في التَّضرّع والابتهال»[٤٤]. وهذا يكشف دقّة اختيار الإمام لمفردة استهلاله ووضعها في مكانها الذي يحقّق التعانق بأبعاده الدلالية كلّها مع موضوعة الدعاء (التَّذلُّل لله ﷻ)، والتذلل لله تعالى هو تعبيرٌ عن «كمال الخضوع والتواضع له تعالى، وإظهار الذُّل والافتقار إليه، وهو يكون في الجَنان كالاعتقاد بأنّه أقلّ عبادِه وأفقرهم إليه، وبالأركان كإلصاق الخدّ بالأرض وتعفير الوجه في التراب والرمي بالنظر نحو الأرض وسكون حركات الأطراف، وباللسان كالإقرار والاعتراف بالنطق بما اعتقده من ذُلِّ نفسه وافتقاره وعظيم ما اكتسبه من الخطايا والذنوب، والتضرّع إليه تعالى ومناجاته بالسؤال والدعاء والابتهال إليه في

حطّ ذنوبه وغفران خطاياه.. إنّ التذلّل لله تعالى هو قوام العبادة والعبودية وقطبها الذي عليه مدارهما»[٤٥]. حتى أنّنا نرى الإمام السجّاد عليه السلام كيف رصف ألفاظ مطلع الاستهلال بعضها بالآخر؟ وبأيّ نظمٍ وترتيبٍ نَصَّها؟ إذْ جنّدها بصيغة الإفراد الموحي بأشكال التذلّل لله تعالى وبصورِه جميعها. فكان مفتاح مطلع دعائه الاستهلاليّ إلى الله الرَّبّ العظيم (رَبِّ)، حتى ارتبط بتكوين مقطع المطلع الفنّي والدلاليّ كلّه بـ (رَبِّ)، فتحول صوت النداء هذا من صوت اعتيادي في وجوده اللّغوي إلى صوت موضوعة (التّذلّل لله سبحانه وتعالى) برمتها في مطلع استهلاله، إن لم يكن صوت الدعاء بمقاطعه كلّها[٤٦].

أثرُ مَوضوعةِ الدُّعاء ومُناسَبتِه في مَطْلع الاستهلالِ

تَبيّن في موضوعة التحليل السابقة الترابط الحاصل المتحقّق، والعلاقة المتواشجة المتبادلة بين موضوعة الدعاء ومفردة استهلال مطلعه، وما يَبُثّانِه من تشظّيات دلالية على نسيج بِنْية مطلع الاستهلال كلّه، وينكشف هنا -من هذه المعالجة عَبْر إجرائها التحليلي- أثر موضوعة الدعاء ومناسبته في مطلعه المُستَهلّ من حيث معاني السياقات وملازماتها الدلالية التي يضمّنها الإمام عليه السلام في نصّه الافتتاحي بقصديته وإرادته، ومن حيث اختيار المفردات وانتقاؤها -لقد تقدّم الإلماح إليها آنفاً-، فيأتي بها مخصوصةً مختصّةً في صميم موضوعة الدعاء، وفي الزمن نفسه هي تجسّد كمال التأدّب في الخطاب مع الله سبحانه وتعالى والنداء والدعاء إليه، لما يتطلبه مقتضى الحال والمقام، بفعل تأثيرات المناسبة فيهما.

وعليه فإنّ الإمام السجّاد عليه السلام يجنّد لمطلع استهلال دعائه السياق الدقيق بما تكوّنه من مفردات متناسبة ومتجاوبة خاصّة بموضوعته لا تخرج عن علمه بالذات الإلهية المقدّسة، تعطي للمتلقي درساً تربوياً أخلاقياً جميلاً، وأسلوباً أدبياً بديعاً،

عن كيفية استهلال دعائه إليه تعالى؟ وبأيّ مقدّمات دعائية يبدأ معه سبحانه؟ إذْ إنَّ أدعية الصحيفة السجادية كلّها في هذا الباب، نأتي بنماذج منها، استهلال دعائه (في يوم عرفة): ((**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، رَبَّ الأَرْبَاب، وَإِلَهَ كُلِّ مَأْلُوْهٍ وَخَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَوَارِثَ كُلِّ شَيءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيْطٌ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ رَقِيْبٌ**))(٤٧).

مناسبة الدعاء واضحة متعلقة بـ (الحجّ) وأعماله، وموضوعته مشرقة بـ (يوم عرفة) والوقوف فيه بين يدي الله ﷻ والتسليم المطلق له ﷻ، وإخلاص الإعتراف بألوهيته وربوبيته على كلّ شيء.

وإذا بدأنا بسياقات جمل المطلع الداخلية ودلالاتها، فنلاحظ أنّ الجملة الاستهلالية التي افتتح المطلع بها؛ هي (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ) التي جاء فيها لفظ الجلالة (الله) مخصوصاً باختصاص الحمد له تعالى وربيوبيته على العالمين بين (الحَمْد)، و(رَبِّ العَالَمِيْنَ)، فالحمد المطلق لله تعالى، لأنه بربوبيته المنعم بآلائه ونعمائه على العالَمين، وهذا ما أثبته سياق الجملة، وتؤكّده الجملة التالية بعدها؛ ((**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**))، إذْ توسّط ضمير المخاطَب المطلوب العائد إلى الله ﷻ بين (اللَّهُمَّ)، و(الحَمْدُ بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، فيسوق هذا التوسط دلالة السياق على اختصاص الحمد له تبارك وتعالى، ثمّ أنّ دلالة نداء الله باسم (البَدِيْع) وهو من أسمائه الفعلية وجّه معنى السياق إلى الجملة اللاحقة، (ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام)، فإذا كان اللهُ بديعاً ذا الجلال والإكرام؟ فكيف لا يكون (رَبَّ الأَرْبَابِ)؟ و(إِلَهَ كُلِّ مَأْلُوْهٍ)؟ و(خَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ)؟ و(وَوَارِثَ كُلِّ شَيءٍ)؟.

ومقصد معاني سياقات هذه الجمل ودلالاتها تأخذ دلالة السياق نحو خطاب الله بكلام لا يكلّم به سواه، وهو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ)، المتداخلة نصيّاً في وحي التقديس القرآنيّ لله تعالى. ثُمّ تأتي سياقات الجمل الأخيرة من المطلع مثبتةً بدلالاتها سياق التقديس المطلق والإعتراف المنقطع النظير بالله سبحانه، ومكمّلة لملازماته الإشارية في تعزيز وحدة مطلع استهلال الدعاء مع موضوعته ومناسبته، وهي: (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيءٍ) و(هُوَ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ) و(هُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ رَقِيبٌ) فالله ﷻ بتلك المعاني وبهذه الدلالات المقصود بها وحده هو بالفعل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ).

أما دلالة السياق العام لمطلع الاستهلال، فتجلّيها المفردات التي وظّفها الإمام عليه السلام وشحن بها لبنات المطلع لتنير دلالة غرضه المقصود فيه، فجاء بالمفردات الدقيقة المختصّة بسياق الموقف في يوم عرفة الحجّ لله ﷻ، وهي: ما تعلّقت به وحده تبارك وتعالى، متعددة دلالياً، متوحّدة جمعاً له لا لسواه في توجّهها إليه؛ (الحَمْدُ – رَبّ – اللَّهُمَّ–بَدِيْع – ذَو الجَلَالِ وَالإِكْرَام–إِلَه – خَالِق – وَارِث – لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ – مُحِيْطٌ – رَقِيْبٌ)، وارتبطت بأسمائه وصفات أفعاله ﷻ؛ (رَبِّ العَالَمِيْنَ – بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ – رَبَّ الأَرْبَابِ – إِلَه كُلِّ مَأْلُوْهٍ – خَالِق كُلِّ مَخْلُوقٍ – وَوَارِث كُلِّ شَيءٍ – وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيءٍ – بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيْطٌ – عَلَى كُلِّ شَيءٍ رَقِيْبٌ)، وهي بمعنى سياق الموقف العام هذا تتجه نحو حقل دلاليّ مشترك، على تفرّده بالربوبية وتوحّده بالألوهية، وهو ما يساير قصداً وغرضاً موضوعة الدعاء ومناسبته.

ومنها كذلك هذا الأُنموذج في مطلع دعائه (لأَهل الثُّغور): ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ: وَحَصِّنْ ثُغُوْرَ الْمُسْلِمِيْنَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ**))[٤٨]. الموضوعة خاصّة بدعاء الإمام السجّاد (لأَهل الثُّغور)، ومناسبته: المسلمون المرابطون بثُّغور الحرب من البلاد الملازمون لها لحفظها التي يخاف منها

هجوم العدو[٤٩]. فبعد مفردة استهلال مطلعه (اللَّهُمَّ) المردوفة بالصلاة على أحبّاء الله وأمنائه وأبواب طلب الحوائج منه تعالى (مُحَمَّدٍ وَآلِهِ)، نلحظه عليه السلام منتقياً ألفاظ مطلع استهلاله بمعانيها الدقيقة، ومختاراً لمفرداته التي تخصّص دلالة المورد بمقصود الغرض موضوعةً ومناسبةً. ووظّف مفردة (التحصين -مع- العزّة) و(التأييد -مع- القوّة) و(السّبوغ -مع- الجِدَة)، فارتبطت معنوياً ودلالياً بغرض مطلع استهلال دعائه وموضوعته ومناسبته، إذْ عبّرت دلالة تركيب جمل مطلعه قبل مفرداته من طريق التكوين البنائي لها، ففي الجملة الأولى؛ وضع (ثُغور المُسْلِمِيْنَ) متوسطة بين (حَصِّنْ - بِعِزَّتِكَ)، التي تعطي بهذا الحصر المكاني في تركيب الجملة دلالة التحصين تركيباً مع المعنى ودلالته المندوبة. وفي جملته الثانية؛ جعل (حُمَاتَهَا) متوسطين كذلك بين (أَيِّدْ - بِقُوَّتِكَ)، التي تمنح بحصرها البنائيّ دلالة التأييد قبل كلّ شيء، وفي الثالثة؛ أبقى (عَطَايَاهُمْ) متوسطة أيضاً، بين (أَسْبِغْ - جِدَتِكَ)، التي تجود بدلالة السبوغ عبر هذا الحصر في التراتب النّصي.

ونلمح أنّ الأفعال جاءت بصيغة الأمر كلها؛ (حَصِّنْ - أَيِّدْ - أَسْبِغْ)، التي تقرّر دلالة يقين اختصاص الله بها وقدرته عليها واستجابته لها، التي تتوافق مع (عِزَّتِكَ - قُوَّتِكَ - جِدَتِكَ) في حقلٍ دلاليٍّ واحد. وتناغمت هذه الفاصلات (عِزَّتِكَ - قُوَّتِكَ - جِدَتِكَ) مع بعضها مشكلة إيقاعاً موسيقياً جميلاً، عزّز من سرعة إيصال الغرض المقصود. وبهذا يتجلى واضحاً سعة التأثر والتأثير المتبادل بين موضوعة الدعاء ومناسبته ومطلع استهلاله.

ومن نماذجها أيضاً، استهلال مطلع دعائه (في الإلحاح): ((**يَا اللهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ يَا إِلَهِي مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ؟ وَكَيْفَ لَا تُحْصِي مَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ؟ أَوْ كَيْفَ يَغِيْبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ؟ أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيْعُ**

أَن يَّهْرُبَ مِنْكَ مَنْ لَاْ حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ؟ أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَاْ مَذْهَبَ لَهُ فِي غَيْرِ مُلْكِكَ؟))[٥٠]. إنّ سياق الموقف هو مقام الإلحاح الذي جعل الإمام السجّاد عليه السلام أن يأتي بـ (يَا اللهُ) على أصلها، لأنّها تعطي دلالة الاستغاثة[٥١] وإلحاح السؤال، فتحقّق غرض الدعاء، من هنا نلحظ أنّ مطلع دعائه محشّد بالاستفهامات المتكررة بأداة واحدة هي (كَيْفَ؟)، إذْ تكرر ذكرها خمس مرات عند إبتداء كلّ جملة من جمل المطلع:

كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ يَا إِلَهِي مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ؟
كَيْفَ لَاْ تُحْصِي مَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ؟
كَيْفَ يَغِيْبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ؟
كَيْفَ يَسْتَطِيْعُ أَن يَّهْرُبَ مِنْكَ مَنْ لَاْ حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ؟
كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَاْ مَذْهَبَ لَهُ فِي غَيْرِ مُلْكِكَ؟

وهذا التّكرار يعبّر عن تلذذ إلحاح الإمام السجاد عليه السلام وشغفه بسؤال الدعاء إلى الله سبحانهُ، وطلب الحوائج منه، وقصده في الأمور والأحوال كلّها، والإمام عليه السلام هو عالم جوابات هذه الاستفهامات إلّا أنّه أنزلها منزلة مقصد الاستفهام القرآنيّ لاشتغاله البلاغيّ البديع، كما في استفهامه تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[٥٢]، والله تعالى يعلم ما في يمينه هي العصا، ولكنه طول الحوار مع عبده المحبوب موسى عليه السلام ولقد عضّد ياء النداء (يَا) بمقطعها الصوتي المفتوح الطويل هذا التوجّه في الاستفهام، فأجراه مجرى ((وكَمْ سَائِلٍ عَنْ أَمْرِهِ وَهوَ عَالِمٌ))، كما نلمح الإمام قد أتى بالأفعال في الجمل الاستفهامية بصيغة المضارعية؛ (يَخْفَى-تُحْصِي-يَغِيْبُ - تُدَبِّره - يَسْتَطِيْعُ - يَنْجُو)، التي تجتمع في دلالتها على الاستمرارية والتجدّد. فتدعم غرض الإلحاح الموحي بحبّ البقاء في مواصلة السؤال منه تعالى. ووظّف فعلين ماضويين

هما (خَلَقْتَهُ - صَنَعْتَهُ) ليثبت بهما أنّ الله أزليّ الوجود، وأكّد قدرته سبحانه على الخلق والصنع من خلال اسناد الفعلين إلى الضميرين العائدين إليه تبارك وتعالى. وكذا في سائر الضمائر العائدة إليه سبحانه وتعالى في المفردات التي استعملها الإمام عليه السلام في بنية مطلع استهلاله؛ (عَلَيْهِ - عَلَيْكَ - عَنْكَ - مِنْكَ - بِرِزْقِكَ - مُلْكِكَ)، وهي تعمّق موضوعة الإلحاح ومناسبته، عبر دلالات سياقاتها التركيبيّة داخل جمل مطلع الاستهلال وخارجه في سياقه التعبيريّ العام.

الفاصلة في مطلع الاستهلال

اختصّ مصطلح (الفاصلة) بالنصوص النثرية، وكذا (القافية) بالأبيات الشعرية، وأما المصطلح الجامع بينهما فهو (القرار)، لكونه قراراً للكلمة التي تختم بها الفقرة النثرية -التي قد تكون جملة واحدة أو أكثر- أو السطر الشعريّ[٥٣]. وموضوعة (الفاصلة) هي ما أقَّرها علماء البلاغة في تعريفاتهم للسّجع إذْ قالوا: توافق أو «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور..»[٥٤]، ومفرد الفواصل (الفاصلة)، ويؤتى بها في النص الأدبيّ على وفق ما «يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس»[٥٥]. وعليه فالفاصلة -أو القرار- تشكلّ بإيقاع جرس أصواتها ووقعها نغماً استهلالياً خلّاباً، وعنصراً موسيقياً جميلاً، في جمل مطالع أدعية الإمام السجاد عليه السلام بصورةٍ خاصّة، وفي فِقَر أدعيته جميعها بصورة عامّة، ولا عجب فهي وليدة التعبير القرآنيّ الذي كانت الفاصلة إحدى أدواته الرئيسة في إيقاعها الصوتيّ الموحي المؤثّر عليه السلام، فضلاً عمّا تتمتّع به الفاصلات من مقومات وقيم جمالية تمنحها للنّص عندما يقوم المنشئ المعبّر بتوظيفها فيه، ويحسّ بها المتلقّي حال قراءتها أو استماعها، إذ تتساوى «الفواصل -آخر كلمة في الجملة- وتتماثل في موسيقاها. وهو -مع تقطيع جمل الدعاء في مواقف الطلب، وطولها النسبي في غيرها- يؤدي الغاية من تعميق الدعاء

في النفس. ويكاد هذا أن يكون سِمة آلِ البيت [عليهم السَّلام] في الدعاء، لخصوبة أنفسهم، وغزارة معانيهم، وقدرتهم على صياغتها صياغةً لها خصوصيتها من حرارة الفكر وطواعية اللغة»(٥٧). إذْ تأتي الفاصلة في آخر كلمة جمل مطلع الاستهلال متجاوبة مع موضوعة الدعاء ومناسبته أيضاً وحال طلب الإمام عليه السلام من الله سبحانه وتعالى، فبهذا يكون الإيقاع الصوتي الذي تشكله الفواصل في المقطع الاستهلاليّ متناسباً متناسقاً مع معنى موضوعة الدعاء ومناسبته -كما أشرنا سابقاً- وحاملاً بوعائه دلالات ما تجسّده مفرداته من تعانق وترابط وانسجام مع الموضوعة نفسها، وفي النتيجة يكونان كفّتين متساويتين إحداهما تحمل الأخرى. ومن نماذجها استهلال مطلع دعائه (في الإعتذار): ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيءٍ اعْتَذَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ، وَمِنْ ذِي فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أُوفِرْهُ، وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ أَهْجُرْهُ**))(٥٨).

تساوت الفواصل بإيقاع وزنها التفعيليّ المتناغم مع حال دعاء الإمام السجاد وروحه التي كانت في مقام الاعتراف بنبذ الظلم وسوء الظنّ، وفي الوقت نفسه استحسان العدل وطلب استحباب الإنصاف في المواقف المتعددة التي حملتها فاصلة كلّ جملة من جمل مطلعه الاستهلاليّ، فجاءت فاصلة الجملة الأولى: (أَنْصُرْهُ)، حاملة الاعتذار إلى الله تعالى ممّن ظُلِم في حضرته ولم يدفعه عنه بنصره إياه. وأتت فاصلة الجملة الثانية: (أَشْكُرْهُ)، متكفّلة بتقديم الاعتذار من المعروف الذي أسدي إليه ولم يقابله بالشكر. وأخذت فاصلة الجملة الثالثة: (أَعْذِرْهُ)، على عاتقها الاعتذار ممّن أساء واعتذر إليه ولم يقبل منه. وأما فاصلة الجملة الرابعة: (أُوثِرْهُ)، فجسّد صدق الاعتذار ممّن سألني العون على إنهاء فاقته وأنا قادر ولم أعطه ما عندي إيثاراً على نفسي. وأما فاصلة الجملة الخامسة: (أُوفِرْهُ)، فتعهدت بتقديم الاعتذار ممّن كان

له حقّ وأنا متمكن من توفيره له ولم أفعل. وحتى تأتي فاصلة الجملة السادسة: (أَسْتُرْهُ)، حاضنة الاعتذار من ظهور عيب أخي المؤمن أمامي ولم أبادر بستره. وهكذا هي الأخرى فاصلة الجملة السابعة الأخيرة من المطلع (أَهْجُرْهُ)، التي ألزمت نفسها بالتعرّض للاعتذار من إثم عرض أمامي ولم أقم بهجره في رحاب علم الله سبحانه.

وهذا كلّه هو ما تجاوبت معه موسيقى هذه الفاصلات وعبّرت عن جوهره الدلالي وجسّدته بترنم مقاطعها الصوتية المتساوية، فضلاً عن إيقاع التوحّد الصوتي المتجانس الذي صاغه صوت الهاءالمضمومة المسبوقة بصوت الراء الساكنة (رْهُ) في الفاصلات كلّها؛ إذْ إنّ صوت الهاء مهموس باعث للحفيف حال النطق به[٥٩] مع حركة الرفع الضمّة وما سبّبه سكون صوت الراء من وضوح لهمس الهاء مع ضمّها المرفوع تتجاوب بتصويرها الصوتي مع حال رفع طلب الاعتذار من الله (أَنْصُرْهُ – أَشْكُرْهُ – أَعْذِرْهُ – أُوْثِرْهُ – أُوَقِّرْهُ–أَسْتُرْهُ – أَهْجُرْهُ). وجمال القرار ووقعه مُتجلٍّ فيها بفعل إيقاع تساويها المتوازن المتوازي وزناً وتقفيةً[٦٠]، إذْ إنها تجاوبت بما نبعت موسيقاها من إيقاع متناغم مع فكرة مطلع دعاء الإمام عليه السلام وموضوعته، زيادة على ما أدّته صوتياً (فَلَمْ) المتصلة بفاء الجواب في تعزيز الوقع الإيقاعي من خلال تكرارها (سبع مرّات) بجوار الفاصلة في فِقَر مطلع الدعاء كلّها. وهو ما ابتغاه الإمام السجاد عليه السلام من تقديم الاعتذار بأجمل إيقاعٍ موسيقي، وأبدع تصوير، وأرقى عرض لدرس أدبيّ أخلاقيّ في ثقافة الاعتذار نفسه عبر هذه الفاصلة السجّادية.

ومن أمثلة نماذجها أيضاً، مطلع دعائه (لدخول شهر رمضان): ((**الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَانَا [لِحَمْدِه]، وَجَعَلَنَا مِنْ [أَهْلِه]، لِنَكُوْنَ لِإِحْسَانِه مِنَ [الشَّاكِرِيْنَ]، وَلِيَجْزِيْنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ [الْمُحْسِنِيْنَ]،وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي حَبَانَا [بِدِيْنِه]، وَاخْتَصَّنَا [بِمِلَّتِه]، وَسَبَّلَنَا**

فِي سُبُلِ [إِحْسَانِهِ]، لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى [رِضْوَانِهِ]، حَمْدَاً يَتَقَبَّلُهُ [مِنَّا]، وَيَرْضَى بِهِ [عَنَّا]))[٦١]. نلحظ أنّ الفاصلة في الفقرتين الأولى والثانية مجيؤها؛ (متطرّفة = لِحَمْدِهِ / أَهْلِهِ)، أي: اختلفت بالوزن وتوافقت بـ(الرَّوي أو التقفية) ويطلق عليها الناقصة[٦٢]، وكذا هي الحال في الخامسة والسادسة؛ (متطرّفة = بِدِيْنِهِ / بِمِلَّتِهِ). أما في الثالثة والرابعة فقد كانت؛ (متوازنة متوازية = الشَّاكِرِيْنَ / الْمُحْسِنِيْنَ)، أي توافقه وزناً ورَوِيَّاً وكذلك فقد توازنت وتوازت في السابعة والثامنة؛ (متوازنة متوازية = إِحْسَانِهِ / رِضْوَانِهِ)؛ والتاسعة والعاشرة (مِنَّا / عَنَّا).

إنّ هذا التعاقب الموسيقي الذي شكّلته الفاصلةالمتطرّفة والفاصلة المتوازنة المتوازية في فِقَر مطلع الدعاء، يصوّر سرور الإمام السجّاد عليه السلام واستبشاره وبشراه مع ما يصاحبهما من تشوّق الانتظار وحفاوة الإقبال لشهر الله العظيم الذي اختصّه لنفسه سبحانه وتعالى، فكان له الأثر البالغ في روح الإمام عليه السلام ونبضات قلبهوعلى نفسيته، إذْ تجلّى واضحاً وظهر جلياً في تكرار صوت روي موحّد مشحون بطاقة الهدوء النفسي والاطمئنان القلبي والتوجه الروحي إلّا وهوصوت (الهاء= ـهِ) الضمير العائد على لفظ الجلالة (الله) في ست فاصلات: (لِحَمْدِهِ – أَهْلِهِ – بِدِيْنِهِ – بِمِلَّتِهِ – إِحْسَانِهِ – رِضْوَانِهِ)، وتكرار هذه الضمائر العائدة إليه تعالى، تجسّد تسليم الإمام المطلق في شهر الله بالعودة الصادقة إليه سبحانه، في حين عند دعائه لطلب الشكر لإحسانه وجزيل جزائه وتقبّل الحمد منه والرضا به، أتت الفاصلة بروي صوت النون في الفاصلات الأربع المتبقية؛ (الشَّاكِرِيْنَ – الْمُحْسِنِيْنَ – مِنَّا – عَنَّا)، وهو صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة سريع التأثر بما يجاوره من أصوات[٦٣]، ففي الفاصلتين؛ (الشَّاكِرِيْنَ / الْمُحْسِنِيْنَ) تجاور صوت النون من صوت الياء الساكنة قبلها فجعلها متوسطة الظهور نطقاً واختفاء غنّتها، وهذا يتجاوب مع دلالة انتظار استجابة طلب دعاء الإمام عليه السلام إلى أن يكونوا من (الشَّاكِرِيْنَ)، والشغف بجزاء (الْمُحْسِنِيْنَ).

أما في الفاصلتين الأخيرتين من مطلع الاستهلال؛ (مِنَّا – عَنَّا) فقد اجتمعت نونان متجاورتان الأولى ساكنة والثانية متحركة بالفتح (نْ نَـا = نَّا)، تصدر عنهما غُنَّةٌ تؤدي إلى إطالة الصوت المشدّد الواضح، وهذه الغُنَّة مع النون المشدّدة تهب نغمة موسيقية محبّبة إلى الأُذن[٦٤]. زيادة على ما يضيفه المقطع الصوتي المفتوح الطويل من النون المفتوحة والألف (نَا = نَ + اْ) إلى الفاصلتين من إيقاع نغميٍّ يَنْدغِم مع دلالة الاستجابة منه سبحانه لقبول الحمد له والرضا لما يقومون به من أعمال التحميد في شهره الخاصّ به شهر رمضان المبارك الذي هو ليلة قدْرِه خيرٌ من ألف شهر، وفيوضات جوده وكرمه سبحانه وتعالى فيه يضاعفها أضعافاً كثيرة. هذا ما أدّته الفاصلة في مطلع دعاء الإمام السجاد عليه السلام من وظيفة حمل دلالات المعنى لِفقَره كلّها، وما يعبّر الإمام به في رحاب العرفان والحُبّ الإلهيّ وموقفه في ساحة التقديس والربوبية من سؤاله ودعاء إليه لا من غيره.

وهكذا هي نماذج الفاصلات الأُخَر في سائر أدعية الصحيفة السجادية، التي تنماز بنظامها الموسيقي وما يضمّه من ثراء دلالي يحمله جرس نغمها الإيقاعي، النابع المتأثر بفاصلة التعبير القرآنيّ، التي ترعى أقطاب دائرة التلقّي جميعهم، والإنسان بعموم طبيعته البشرية، والعربيّ بخصوص سليقته الأدبية، يحبّ «الافتتاح الجميل، من الصباح الصحو، والتحية العذبة، والوجه البشوش، والبسمة الرائقة، واللقاء الودود؛ فيَفيض عليه شعور مريح، وتفاؤل غامر. لا يقتصر ذلك على زمان معين، أو مكان محدد، أو وقائع حسية، بل يتجاوزها كلّها إلى ما يثير في جوانحه طرباً لممارسته، ويهيج فيه شوقاً لمتابعته»[٦٥].

... الخاتمة ...

لقد أسّس الإمام عليّ بن الحُسين عليه السلام للإنسانية كافة وللأُمة الإسلامية كلّها، من خلال نصوص أدعية الصحيفة السجّادية المباركة، شرعةً ومنهاجاً في رعاية أدب الخطاب مع الله والدعاء إليه سبحانه وتعالى، النابع من عمق تعبير النّص القرآنيّ،المتجذّر في كينونة لغتهِ الإلهية وأسلوبه البلاغيّ، عَبْر ما علّمنا إياه فيها عن كيفية البدء بالدعاء ومقدماتهوأساليب استهلاله المتعددة، ومفردات فواتحه الاستهلالية المتنوعة، ونظام فاصلاته الموسيقية المشحونة بالطاقة الإيقاعية المتلونة، حري بالأدباء أن ينهلوا من أدبها، وبالبلغاء أن يرتشفوا رحيق ضرب بلاغتها، بالعلماء أن يغترفوا من نور علومها.

---

١. لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ): مادة هلل.
٢. ينظر: الاستهلال فنّ البدايات في النّص الأدبي: ياسين النصير: ٢٢-٢٣.
٣. المنطق: الشيخ محمّد رضا المظفر: لدى موضوعة؛ (نظم الأقوال الخطابية وترتيبها): ٣/ ٣٢١.
٤. ينظر: نفسه: ياسين النصير: ١١، و٢١. وينظر: بنية النّص القرآنيّ: د.إبتسام السيد عبد الكريم المدنيّ ٢٨٨ وما بعدها. وينظر: بنية السرد في القصص الصوفي: ٨٦. وينظر: جماليات المقالة عند د.علي جواد الطاهر: ٨٧.
٥. ينظر: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبيّ: ٣١. وينظر: فواتح سور القرآن: د.حسين نصّار: ٥ وما بعدها.
٦. بنية النّص القرآنيّ: د.إبتسام السيد عبد الكريم المدنيّ: ٢٨٩.
٧. المتصفّح للصحيفة السجادية، يلمح جليّاً ما ذكرته الدراسة وذهبت إليه!.
٨. ينظر: الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: اسحاق العَشّي: ٥١ وما بعدها. وينظر: الأدب السياسيّ الملتزم في الإسلام: د.حسن عبّاس وزميله: ١٥٩. وينظر: التّصوّف الإسلاميّ في الأدب والأخلاق: د.زكي مبارك: ٥٣ وما بعدها.

٩. تنظر: الصحيفة السجّادية: الأدعية ذوات العدد، والصفحة؛ (١-ص١٩)، (٢-ص٢٥)، (٦-ص٣٩)، (٣٥-ص١٣٩)، (٤٧-ص١٨٥).

١٠. تنظر: (سورة الحمد/ الفاتحة)، و(الأنعام)، ودعاء (الأعراف: ٤٣)، ودعاء (يونس: ١٠)، ودعاء (إبراهيم: ٤٠)، ودعاء (النحل: ٧٦)، ودعاء (الإسراء: ١١١)، و(سورة الكهف)، ودعاء (المؤمنون: ٢٨)، ودعاء (النمل: ١٥-٥٩-٩٣)، ودعاء (العنكبوت: ٦٣)، ودعاء (لقمان: ٢٥)، و(سورة النبأ)، واستهلال (فاطر: ١-٣٤) ودعاؤها، ودعاء (الزمر: ٢٩-٧٤-٧٥)، ودعاء (غافر: ٦٥).

١١. نقلاً عن سنن أبي داود: ٤/ ٢٦١-ح٤٨٤٠. وسنن ابن ماجة: ١/ ٦١٠-ح١٨٩٤.

١٢. نقلاً عن الكافي: ٢/ ٥٠٤-ح٦.

١٣. رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين: السيد علي خان المدنيّ الشيرازيّ (ت١١٢٠هـ): ١/ ٢٢٤.

١٤. الصحيفة السجادية: (١-ص١٩).

١٥. قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية: أ.د.كريم حسين الخالديّ وزميلته: ١٢٧.

١٦. البقرة: ٢٥٥.

١٧. شرح الصحيفة السجادية الكاملة: السيد محمّد باقر الداماد (ت١٠٤١هـ): ٧٦.

١٨. نور الأنوار في شرح صحيفة سيّد الأخيار: السيّد نعمة الله الجزائريّ (ت١١١٢هـ): ٢٤. وينظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين: السيد علي خان المدنيّ الشيرازيّ (ت١١٢٠هـ): ١/ ٢٣٠ وما بعدها.

١٩. الصحيفة السجّادية: (٦-ص٣٩).

٢٠. تنظر: الصحيفة السجّادية: الأدعية ذوات العدد، والصفحة؛ (٣-ص٢٧)، (٤-ص٣١)، (٨-ص٤٥)، (٩-٤٧)، (١٠-ص٤٩)، (١٢-ص٥٣)، (١٣-ص٥٧)، (١٥-ص٦٥)، (١٦-ص٦٧)، (١٧-ص٧٣)، (١٨-ص٧٧)، (١٩-ص٧٩)، (٢٠-ص٨١)، (٢١-ص٨٩)، (٢٢-ص٩٣)، (٢٣-ص٩٧)، (٢٤-ص١٠١)، (٢٥-ص١٠٥)، (٢٦-ص١٠٩)، (٢٧-ص١١١)، (٢٨-ص١١٧)، (٢٩-ص١١٩)، (٣٠-ص١٢١)، (٣١-ص١٢٣)، (٣٢-ص١٢٩)، (٣٣-ص١٣٥)، (٣٤-ص١٣٧)، (٣٦-ص١٤١)، (٣٧-ص١٤٣)، (٣٨-ص١٤٨)، (٣٩-ص١٤٩)، (٤٠-ص١٥٣)، (٤١-ص١٥٥)، (٤٢-ص١٥٧)، (٤٥-ص١٧١)، (٤٨-ص٢٠٣)، (٥٠-ص٢١٥).

٢١. آل عمران: ٢٦.

٢٢. الزمر: ٤٦.

٢٣. الصحيفة السجّادية: (٩-ص٤٧).
٢٤. قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية: ٢٤وما بعدها. وينظر: نور الأنوار في شرح سيّد الأخيار: ٦٤.
٢٥. رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين: ١/ ٤٥٤.
٢٦. الصحيفة نفسها: (٢٩-ص١١٩).
٢٧. تنظر: الصحيفة السجّادية: الأدعية ذوات العدد، والصفحة؛ (٥-ص٣٥)، (٧-ص٤٣)، (١١-ص٥١)، (١٤-ص٦١)، (٤٦-ص١٨١)، (٥٢-ص٢٢١)، (٥٤-ص٢٢٧).
٢٨. الصحيفة السجّادية: (٥٤-ص٢٢٧).
٢٩. تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يُوسف: د.حسن عبد الهادي الدجيليّ: ١٠٧.
٣٠. لقد أشارت الدراسة إلى أنّ المناجاة وأدعية الأيام ليست من متن الصحيفة السجادية المحقّق. ينظر: الهامش ذي العدد (١).
٣١. والسور السبع هي: الإسراء، الحديد، الحشر، الصّف، الجمعة، التغابن، الأعلى. ينظر: بِنية النّص القرآنيّ: ٢٩٤.
٣٢. الصحيفة السجّادية: الدعاء ذو العدد والصفحة: (٤٣-ص١٦٣).
٣٣. الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال من الصحيفة السجّادية: العلامة الشيخ البهائيّ (ت١١١٠هـ): ١٢٥.
٣٤. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ): ١/ ٧٣.
٣٥. الحديقة الهلالية ١٢٥ وما بعدها. ونور الأنوار ٢٩٩. ولوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: السيد محمّد باقر الموسويّ الشيرازيّ (ت١٢٣٣هـ) ٤/ ٦٤٩ وما بعدها. وينظر: رياض السالكين: ٥/ ٥٢١.
٣٦. بِنية النّص القرآنيّ: ٢٩٤ وما بعدها.
٣٧. الصحيفة السجّادية: دعاء (٥١-ص٢١٧).
٣٨. رياض السالكين: ٧/ ٣٣٨.
٣٩. الصحيفة نفسها: دعاء (٤٩-ص٢١١).
٤٠. الصحيفة السجّادية: دعاء (٥٣-ص٢٢٥). في بعض نسخ الشروح؛ (المُنقَطَعُ بي) على البناء للمفعول بضمّ ميمه وبفتح ما قبل آخره، فهو مُنقطَعٌ به، إذا انقطع سفره فصار مُنقطَعاً به. ينظر: شرح السيد الداماد: ٤٣٢.
٤١. ورد الدعاء بجملة (رَبِّ) في التركيب القرآنيّ أكثر من خمسين مرّة، بسياقات متعددة ودلالات منوعة، في مقام ربوبية الله ﷻ المطلقة.

٤٢. ينظر: تقنيات المنهج الأسلوبي: ١١٠ وما بعدها.
٤٣. قراءتان في النَّص الدينيّ – الآليات والمعنى –: د.أحمد رسن: ١٥٦.
٤٤. رياض السالكين: ٧/ ٣٩٨.
٤٥. رياض السالكين: ٧/ ٣٩٧.
٤٦. ينظر: تقنيات المنهج الأسلوبيّ: ١١٢.
٤٧. الصحيفة السجّادية: الدعاء ذو العدد والصفحة: (٤٧-ص١٨٥).
٤٨. الصحيفة نفسها: (٢٧-ص١١١).
٤٩. ينظر: رياض السالكين: ٤/ ١٨٣.
٥٠. الصحيفة نفسها: (٥٢-ص٢٢١).
٥١. ينظر: جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشميّ: ٦٥.
٥٢. طه: ١٧.
٥٣. ينظر: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلاميّ: د.محمود البستانيّ: ١٣٩.
٥٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن الأثير (ت٦٣٧هـ): ١/ ٢٧٥. وينظر: الفواصل: د.حسين نصّار: ١٢ وما بعدها.
٥٥. الفواصل: د.حسين نصّار: ١٩٣.
٥٦. ينظر: الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة: عليّ عباس الفحّام: ٢١٩.
٥٧. دراسات في التراث الإسلاميّ: د.عبد الكريم الأشتر: ٥٦ وما بعدها.
٥٨. الصحيفة السجادية: (٣٨-ص١٤٧). ولقد وردت قراءة أخرى بالتضعيف؛ (أُوَفِّرْهُ).
٥٩. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: ٨٩.
٦٠. ينظر: جواهر البلاغة: ٢٤٩ وما بعدها.
٦١. الصحيفة نفسها: (٤٤-ص١٦٥).
٦٢. ينظر: الفواصل: ١٤١.
٦٣. ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٧ وما بعدها.
٦٤. نفسه: ٧٣.
٦٥. فواتح سور القرآن: ٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة: عبّاس عليّ الفحّام، العتبة العلوية المقدّسة، العراق، النجف الأشرف ٢٠١١م.

٢. الأدب السياسيّ الملتزم في الإسلام: د.حسن عبّاس وزميله: دار التعارف للمطبوعات (د-م-ط-ت).

٣. الإمام علي بن الحسين عليه السلام والخلافة الإسلامية: إسحاق العَشّي، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.

٤. الاستهلال فنّ البدايات في النص الأدبيّ ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٣م.

٥. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط٤، ١٩٧١م.

٦. البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلاميّ د.محمود البستانيّ، دار الفقه للطباعة والنشر، مطبعة سليمان زاده، إيران، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧. بنية السرد في القصص الصوفي: د.ناهضة ستّار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٣م.

٨. بِنية النّص القرآنيّ: د.إبتسام السيد عبد الكريم المدنيّ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

٩. التّصوّف الإسلاميّ في الأدب والأخلاق د.زكي مبارك منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت (د-ط).

١٠. تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يُوسف: د.حسن عبد الهادي الدجيليّ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ٢٠٠٥م.

١١. جماليات المقالة عند د.علي جواد الطاهر: د.فاضل عبود التميمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ٢٠٠٧م.

١٢. جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشميّ، مكتبة طريق المعرفة، منشورات محمّد علي بيضون، بيروت، ط المنقّحة، ٢٠٠١م.

١٣. الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال من الصحيفة السجّادية: العلامة الشيخ البهائيّ (ت١١١٠هـ) تحـ: السيّد علي الموسويّ الخرسانيّ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرّفة، ط١، ١٤١٠م.

١٤. دراسات في التراث الإسلاميّ: د.عبد الكريم الأشتر، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية بدمشق، كتاب الثقافة الإسلامية ٦، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠١م.

١٥. رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين: السيد علي خان المدنيّ

الشيرازيّ (ت١١٢٠هـ) تحـ: السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ، إيران، ط٥، ١٤٢٧هـ.
١٦. شرح الصحيفة السجادية الكاملة: السيد محمّد باقر الداماد (ت١٠٤١هـ) تحـ: السيّد مهدي الرجائيّ، الناشر بهار قلوب، إيران، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١٧. الصحيفة السجّادية الكاملة مع الدليل الموضوعيّ والمعجم اللغويّ والفهارس تحـ: علي أنصاريان، الناشر سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ١٩٩٩م.
١٨. فواتح سور القرآن: د.حسين نصّار، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
١٩. الفواصل -إعجاز-: د.حسين نصّار، مكتبة مصر٣ شارع كامل صدقي، الفجالة، ط١، ١٩٩٩م.
٢٠. قراءتان في النَّص الدينيّ -الآليات والمعنى-: د.أحمد رسن، دار الفيحاء للطباعة والنشر، مطابع بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
٢١. قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية أ.د.كريم حسين الخالديّ وزميلته، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان / الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
٢٢. لسان العرب العلامة ابن منظور (ت٧١١هـ) تحـ: محمّد الصادق العبيديّ وزميله دار إحياء التراث العربيّ، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت، ط٣، (د-ت).
٢٣. لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: السيد محمّد باقر الموسويّ الشيرازيّ (ت١٢٣٣هـ) تحـ: مركز البحوث الكومبيوترية، حوزة أصفهان العلمية، مؤسسة الزهراء عليها السلام الثقافية الدراسية مطبعة عترت، أصفهان، إيران، ط٢، ١٣٨٥هـ.
٢٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن الأثير (ت٦٣٧هـ) تحـ: كامل محمّد عويصة، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٥. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ) تحـ: السيّد هاشم الرسوليّ المحلّاتيّ، دار إحياء التراث، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٦. المنطق: الشيخ محمّد رضا المظفّر، مؤسسة الرافد للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة منقّحةٌ وجديدة، العراق، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٧. نور الأنوار في شرح صحيفة سيّد الأخيار السيّد نعمة الله الجزائريّ (ت١١١٢هـ) الناشر آسيانا، مطبعة اميران، قم، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.